رسائل في كيفية السلوك إلى الله

شيخ المتألهين
الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي
أعلى الله مقامه

الدار العالمية

معرفة
كيفية السلوك إلى الله

تأليف

شيخ المتألهين

الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي

أعلى الله مقامه

الأوحد

موقع الأوحد

Awhad.com

الدار العالمية

الدار العالمية
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بيروت - الحمراء بناية كومودور سنتر
هاتف ٣٤٩٧١٧ - ٣٤٠٣٢٩ - ٨٦٣٠٢٢
فكس ٨٦٣٠٢٢ ص ب ٦٣٨١ ١١٣
تلكس ٢٢٩٢٧ I.F. 22927 عالمية I.F. 42054 فرحات
بيروت - لبنان

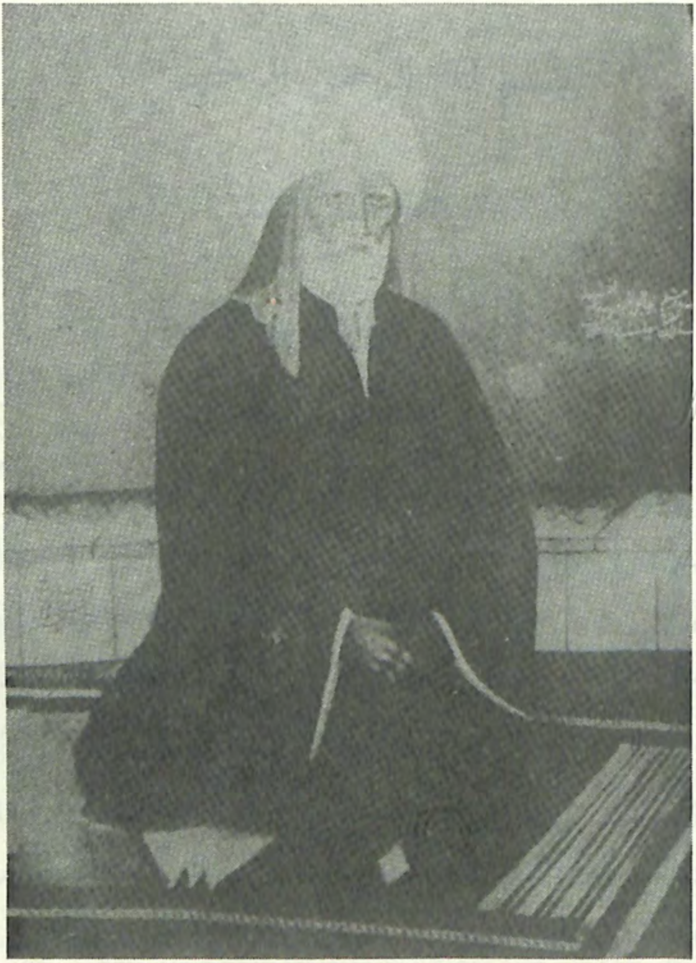

الشيخ الأجل الأوحد الشيخ
أحمد بن زين الدين الأحسائي
أعلى اللّٰه مقامه

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

وفكره الفلسفي والعقائدي

هو الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن رمضان، الصقري القرشي الأحسائي المطيرفي. من مشاهير العلماء الإمامية الاثني عشرية وكبار الفلاسفة المسلمين في القرن الثالث عشر الهجري.

كان آباؤه يسكنون البادية بنواحي الأحساء، وعلى أثر منافرة حدثت بين جده الرابع (داغر) وأبيه (رمضان) انتقل داغر بعائلته إلى قرية المطيرف واستقر بها، وما لبث أن اعتنق مذهب الإمامية فصار هو وذريته جميعاً من الشيعة الاثني عشرية.

ولد الشيخ أحمد في المطيرف في شهر رجب عام ١١٦٦ هـ ، وبها نشأ وترعرع تحت رعاية والده الشيخ زين

الدين. وظهرت علامات نبوغه منذ نعومة أظفاره، فختم القرآن الكريم وهو ابن خمس سنين، وابتدأ بدراسة النحو وعلوم العربية قبل أن يبلغ الحلم.

ولما بلغ العشرين من عمره سافر سنة ١١٨٦ هـ إلى العراق لتحصيل العلم، ونزل كربلاء وحضر فيها على عدد من علمائها، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ودرس على كبار علمائها أمثال الشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيره. واضطر إلى مغادرة العراق والعودة إلى بلاده على أثر الطاعون الجارف الذي اجتاح العراق في بدايات القرن الثالث عشر الهجري. ولما عاد إلى المطيرف، تزوج من إحدى فتيات بلاده، ثم انتقل بعد مدة إلى مدينة الهفوف عاصمة الأحساء ولبث فيها زمناً ينشر مذهب أهل البيت (ع) فاجتمع حوله عدد كبير من الأنصار والمؤيدين، مما حرَّك ضده السلطات القائمة، فهاجر مع عائلته قاصداً البحرين في حدود عام ١٢٠٨ هـ وسكنها أربع سنين.

وفي عام ١٢١٢ هـ زار العتبات المقدسة في العراق، وبعد الزيارة حلَّ في مدينة البصرة في محلة جسر العبيد. ولكن خلافاً نشب بينه وبين الشيخ محمد بن مبارك القطيفي الأحسائي اضطره إلى نزول الحبارات من قرى البصرة، ثم انتقل

إلى قرية التنُّومة ثم قرية النشوة من قرى البصرة أيضاً. وفي العام ١٢١٩ هـ أقام مع أهله لمدة سنة كاملة في قرية تعود للسيد عبد المنعم بن شريف الجزائري.

وفي حدود سنة ١١٢٢ هـ قصد خراسان لزيارة الإمام الرضا (ع) فمر بمدينة يزد فاستقبله أهلها بالحفاوة والتعظيم وأعجبوا بعلمه وعرفوا فضله. ولما ذاع صيته وسمع به السلطان فتح علي شاه القاجاري أرسل إلى مدينة يزد من يدعوه إلى طهران ليتعرف عليه السلطان ويستفيد من علمه. ولما قضى الشيخ أحمد واجب زيارة الإمام الرضا (ع) عاد إلى طهران وحلّ دار السلطان فتح علي شاه، فأعزه وأكرمه، وجمع إليه العلماء والفضلاء فعرفوا شأنه ورفعوا مقامه. وسأله السلطان مسائل علمية فأجاب عنها برسائل مستقلة طبعت فيما بعد في كتاب (جوامع الكلم). ثم أمر السلطان من يذهب إلى البصرة ويأتي بعائلة الشيخ أحمد إلى طهران، فاجتمعت العائلة وأقامت سنتين في طهران.

وفي سنة ١٢٢٤ هـ اختار الشيخ أن يقيم بمدينة يزد مع أهله وعياله، فانتقل إليها وسكنها مدة تزيد على خمس سنين مشتغلاً بالتدريس ونشر علوم أهل البيت والمذهب الجعفري.

وفي عام ١٢٣٠ هـ غادر مدينة يزد ونزل في أصفهان مدة أربعين يوماً، ثم توجه إلى العراق لزيارة الأئمة (ع) وبعد الزيارة عاد إلى كرمانشاه فاستوطنها بناءً على دعوة وإلحاح واليها محمد علي ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه. وقد أكرمه ابن السلطان وجعل له مرتباً سنوياً قدره سبعمائة تومان.

وبعد وفاة محمد علي ميرزا، ساءت أحوال كرمانشاه فغادرها الشيخ أحمد وتنقل ما بين قزوين وطهران وشاه عبد العظيم وخراسان وطبس وأصفهان. ثم عزم على مجاورة الأئمة في العراق، فتوجه إلى كربلاء ونزلها مستوطناً. وما لبث أن وقعت اصطدامات ومشاحنات بينه وبين بعض علماء الحائر الحسيني بسبب آرائه في العقائد ووقوف عدد من العلماء والناس معه، فرأى أن فتنة عظيمة تكاد تقع على الشيعة، فقرر أن يبتعد عن كربلاء فغادرها لاجئاً إلى بيت الله الحرام وخلّف في كربلاء تلميذه السيد كاظم الرشتي نائباً عنه وزعيماً لأتباعه ومقلديه من طائفة الشيخية. وفي طريقه إلى المدينة المنورة مرض مرضاً شديداً، وتوفي رحمه الله في مكان يقال له «هدية» قرب المدينة، وكان ذلك ليلة الجمعة أو يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي القعدة عام ١٢٤١ هـ. ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ثم دفن في البقيع خلف قبور الأئمة (ع) في الطرف المقابل لبيت

الأحزان. وحين انتشر نبأ وفاته عمَّ الحزن والأسى أوساط المؤمنين، خصوصاً بين أتباعه ومقلديه، وأقام له تلامذته ومريدوه مجالس العزاء في أنحاء مختلفة من البلاد.

وقد ظل قبر الشيخ أحمد بن زيد الدين معروفاً مشهوراً يزوره العلماء والمؤمنون إلى أن هدمت قبور الأئمة وغيرها في البقيع من قبل الوهابية سنة ١٣٤٥ هـ . وقد شاهد الشيخ عباس القمي - وغيره من العلماء - على قبر صاحب الترجمة هذين البيتين:

لزين الدين (أحمد) نور علمٍ ‌ ‌ ‌ ‌ يضيء به القلوبَ المدلهمَّهْ
يريد الحاسدون ليطفئوه ‌ ‌ ‌ ‌ ويأبى اللّٰهُ إلاّ أن يُتمَّهْ

علمه وفضله:

اتفق العلماء والمؤرخون على غزارة علم الشيخ أحمد بن زيد الدين وتضلعه في مختلف العلوم، وإن اختلفوا في آرائه ومعتقداته، وذكروا أنه كان (قدّس سرّه) بارعاً في أكثر العلوم العقلية والنقلية وله فيها مصنفات. وقد كان متعمقاً في علمي الفلسفة والكلام واشتهر بهما.

يقول الأستاذ محمد كاظم الطريحي: لم يكن الشيخ الأوحد حكيماً فحسب، بل إنه ممن أضاف إلى الحكمة

الإسلامية آراءً مبتكرة فيما يطابق العقل والنقل مما جاء في السنة النبوية وأخبار أهل البيت، لأنه كان ممن يرى ضرورة التوفيق بين العقل والنقل... والكثير من أجوبته على المسائل الهامة كان بداهة فطرية بدون مراجعة كتاب أو رجوع إلى أصل من الأصول، وهي موهبة تفرّد بها... وقد تمكن بما أوتي من سعة الاطّلاع والمعرفة وقوة التمييز والحافظة والتخلص إلى النتائج من الجمع بين آراء من تقدّمه من مفسري القرآن وشراح الحديث وحكماء الإسلام ورواة الأخبار، وبما أضافه أقطاب التصوّف والعرفان، فوعى ذلك كله ولخصه وبسطه مضيفاً إليه آراءه الخاصة.

ويقول الشيخ عبد الله نعمة في كتابه (فلاسفة الشيعة): الأحسائي كان من رجال الشيعة اللامعين الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر والفلسفة والكلام والعرفان، هذا إلى جانب تمرّسه بالطب والرياضيات والنجوم والكيمياء وعلم الأعداد والكلمات والحديث والأصول.. وكانت حياته فريدة من نوعها، فقد أنفقها على العلم والإنتاج... وقال: وعلى أي حال فقد كان هذا الرجل من الأعلام الذين برزوا في القرن الثالث عشر للهجرة، وقامت شهرته على الفلسفة والكلام، وشملت أكثر المعارف.

وسجّل الدكتور ميرزا مهدي خان في تاريخه: أن ربع إيران خالصاً كانوا من مقلديه والتابعين له، لهذا كان له أعظم نصيب من التبجيل والتقدير لدى علماء إيران والعراق والهند والقفقاس.

وللسيد كاظم الرشتي ـ تلميذ صاحب الترجمة ـ كلام مطوّل جداً في مدح أستاذه وبيان علمه وفضله، يراجع فيه كتاب: دليل المتحيرين.

والحال أن العديد من علماء الإسلام الأعلام أثنوا على الشيخ أحمد بن زين الدين وعرفوا نبوغه ومقامه، نذكر منهم: السيد محمد مهدي بحر العلوم (في إجازته له) والشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء النجفي (في إجازته) والسيد علي الطباطبائي (في إجازته) والسيد محمد مهدي الشهرستاني (في إجازته) والشيخ حسين آل عصفور البحراني (في إجازته) والمحدث النيسابوري (في رجاله) والميرزا محمد علي الكشميري (في نجوم السماء) والسيد شفيع الموسوي الجابلقي (في الروضة البهية) والمولى الحاج محمد إبراهيم الكرباسي (في الإشارات) والفيلسوف المولى محمد إسماعيل بن السميع الأصفهاني المعروف بواحد العين (في مقدمة كتابه: شرح العرشية) والسيد محمد بن مال الله

القطيفي (في رسالته التي ألفها في ترجمة أستاذه السيد عبد الله شبَّر) والشيخ عباس القمي (في الفوائد الرضوية) والشيخ علي البحراني (في أنوار البدرين) والسيد محمد مهدي الأصفهاني (في أحسن الوديعة) والميرزا محمد تقي المامقاني (في صحيفة الأبرار) والعلامة الملاَّ حبيب الله الشريف الكاشاني (في لباب الألقاب) وغيرهم من العلماء.

وقد أجمع العلماء ـ من موافقيه ومعارضيه ـ على أنه كان كثير العبادة ملتزماً بالأوراد والأذكار والنوافل، زاهداً في العيش والملاذ الدنيوية، مقبلاً على الطاعة وأمور الآخرة، وحتى الذين اتهموه في عقيدته لم يختلفوا في زهده وعبادته وتقواه. يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: «وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة، كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه..».

مؤلفاته:

خلَّف الشيخ أحمد بن زين الدين ـ رحمه الله ـ عدداً كبيراً من الكتب والرسائل في مختلف العلوم والمعارف؛ وقد أفرد أكثر من مؤلف فهرساً خاصاً بأسماء تلك المؤلفات، لعل أكثرها إحاطة وشمولاً بالموضوع البيان الذي وضعه العلامة السيد

هاشم الشخص في كتابه «أعلام هجر» ـ الجزء الأول ص ١٤٥ ـ ١٧٤ ـ وذكر فيه ١٦٨ كتاباً ورسالة من المطبوع والمخطوط مستقصياً ذلك في المصادر الموثوقة.

فكره وعقيدته:

ما هي عقيدة الشيخ أحمد الأحسائي وأفكاره؟

لقد اتهمه البعض بأنه من الشيعة الحلولية، أي ممن يعتقدون بحلول ذات الله تعالى في علي بن أبي طالب عليه السلام، كما جاء في (دائرة المعارف الإسلامية)، و(المنجد في اللغة والأعلام). وهذا الكلام ساقط علمياً لأنه لا يستند إلى دليل أو برهان؛ فالشيخ أحمد لا يختلف في أصول العقائد عن الشيعة الإمامية الاثني عشرية. ويمكن حصر الخلاف بينه وبين سائر العلماء في أمرين أساسيين:

الأول: أنه يدعي ابتكار منهج جديد في علم الحكمة لم يسبقه إليه أحد، خلاصته التوفيق بين الفلسفة والحكمة وبين أخبار أهل البيت. فهو يعتمد الحكمة المستخلصة من تراث الأئمة ولا اعتبار عنده لما لم تقرّه تلك الأخبار. ولعله من هنا نشأ التوهم أن الشيخ كان إخبارياً، في حين أنه كان فقيهاً أصولياً.

الثاني: أنه فسّر كثيراً من الأخبار وحلل بعض المسائل العقائدية بنحو غريب غير مألوف وغير مفهوم أحياناً، معتمداً على الكشف والعرفان، ومدعياً أنه يريد بذلك الوصول إلى لب الأمور وبواطنها ولا يكتفي بمفهومها الظاهري.

وبسبب ذلك اختلف علماؤنا فيه اختلافاً بيناً، فمنهم من بالغ في مدحه والثناء عليه واعتبره رائداً ومجدداً في جميع العلوم والمعارف، ومنهم من أفرط في قدحه والتشنيع عليه حتى أخرجه من الإسلام وطعن في علمه وعقيدته، وفريق ثالث وضعه موضعه الطبيعي دون إفراط أو تفريط. يقول الشيخ عبد الله نعمة: «واختلاف الناس فيه - بلا ريب - دليل على نبله وارتفاع مكانته وعظم شخصيته».

وأهم ما أُخذ على الشيخ الأمور التالية:

١ - إنكاره المعاد الجسماني.

٢ - إنكاره المعراج الجسماني للنبي (ص).

٣ - إنكاره شق القمر المرئي الحقيقي للنبي، ودعوى أن الذي انشق إنما هو صورة القمر المنتزعة منه.

٤ - الغلوّ في شأن أهل البيت وإعطاؤهم بعض المقامات التي لا تصح إلا لله تعالى، مثل القول بأن الله تعالى فوّض إليهم

جميع ما في الكون من الخلق والرزق والحياة والموت، والقول بأن علمهم حضوري وليس حصولياً، أي أنهم يعلمون بما كان وبما يأتي على نحو يكون ذلك كله حاضراً في ذهنهم وذاكرتهم في كل حين كما يرون بالعين.

٥ ـ ادعاؤه بعض الأمور الغريبة والمعميات من قبيل ادعائه بأنه يرى الأئمة (ع) في المنام متى شاء وأنهم يقضون له حوائجه ويحلون ما يشكل عليه من مسائل علمية، ومن قبيل القول بأن لكل نوع من الموجودات نبي من صنفهم حتى النباتات والجمادات، ولكل نبي منهم أوصياء وأئمة كما لنبينا (ص).

وقد تصدى للرد على هذه المؤاخذات عدد من العلماء والمؤيدين، وخلاصة ذلك:

١ ـ أن الشيخ صرّح في كتبه بما يوافق عقائد الشيعة الإمامية تماماً سواء في المعاد الجسماني والمعراج أو سائر العقائد، فلا يجوز التشبث بكلام مبهم غير واضح وترك كلامه الصريح.

٢ ـ أن مسأل المعاد الجسماني والقول بأن للإنسان جسمين

وجسدين، جسم يفنى ولا يعود وهو ما تألف من العناصر الزمانية والكثافات المادية، وجسم يعود ويحشر معه الإنسان وهو ما تألف من طينته الأصلية الصافية من الكدورات. وهذا الكلام لم ينفرد به الشيخ الأحسائي، بل صرَّح بمعناه عدد من الأساطين وكبار العلماء مثل المحقق الطوسي في (التجريد) والعلامة الحلّي في (شرح التجريد) وغيرهما.

٣ ـ ومن هنا فإنّ الشيخ يؤمن بعروج النبي إلى السماء بجسده الشريف وثيابه ونعْليه كما صرَّح في (شرح الزيارة) و(شرح العرشية) وغير ذلك من كتبه، ولكنه يدعي بأن النبي صعد إلى السماء بعد صفاء جسمه ونقائه من الكدورات والكثافات الدنيوية بحيث أصبح جسمه لطيفاً خفيفاً نورانياً ملائماً لعالم السماء والأفلاك.

٤ ـ وأما معجزة شق القمر ـ المتفق عليها بين المسلمين ـ فالشيخ يؤمن بها ولا ينكرها كما هو في صريح كلامه، ولكنه يرى في تحليل هذه المعجزة رأياً خاصاً مفاده أنه لا ضرورة لانشقاق نفس الجسم المادي للقمر، ويكفي انتزاع صورة القمر مع كامل ضوئه وشقها أمام الناس.

ومثل هذا الكلام ـ أي المنحى التأويلي ـ يقال في جواب

تهمة الغلو في شأن أهل البيت (ع)، وهي التهمة التي رمي بها الكثير من كبار علماء الشيعة.

وخلاصة القول إن صواب رأي شيخنا أو عدم صوابه لا يجوز اعتباره إنكاراً لضروري من ضروريات الدين، كما لا يجوز الابتعاد عن جادة التقوى واتهامه بالكفر والزندقة لأن الأمر في مثل هذه الأحوال الخطيرة يحتاج إلى دليل قاطع وبرهان صريح. ونكرر التنبيه مرة أخرى إلى أنه لا يصح مؤاخذة الشيخ بعقائد بعض تلاميذه أو المدعين الانتساب إليه، فالمعلوم من دراسة تاريخ الفرق وتطور عقائدها أنها كلما تفرعت وامتد بها الزمان كلما ابتعدت فروعها عن الأصل واتخذت كيفيات خاصة.

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: «... ثم لما انتشرت كتبه ومؤلفاته بعد حياته اختلف الناس فيه بين غال وقال، بين من يقول بركنيته وبين من يقول بكفره. والتوسط خير الأمور. والحق أنه رجل من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم، وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة، كما سمعناه ممن نثق به. نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة لا يجوز من أجلها التهجم والجرأة على تكفيره بها.

وقد أشار الشيخ أحمد إلى اختلاف الناس حوله وإلى

الحملات التكفيرية التي شنها عليه البعض، وذلك في رسالة بعث بها إلى أحد تلاميذه وهو المولى عبد الوهاب القزويني. وفي تلك الرسالة يبين الشيخ بوضوح رأيه في مسألة المعاد الجسماني، وهو ما أشرنا إليه سابقاً، وكذلك رد التهمة التي ألصقت به وهي أنه يقول بأن علي بن أبي طالب خلق السموات والأرض.

شعره:

كان ـ قدس سره ـ عالماً فيلسوفاً أكثر من كونه أديباً شاعراً، وقد طغت شخصيته العلمية على اتجاهه الأدبي، وهذا مما قلّل من إنتاجه الشعري والأدبي، ولم يؤثر له من الشعر غير اثنتي عشرة قصيدة كلها في الإمام الحسين (ع) طبعت في ديوان مستقل.

وهذا مطلع من قصيدة طويلة قالها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

رزءٌ جليلٌ لا يرى أبداً إلا لتقطع أكباد المحبينا

ومن قصيدة أخرى في رثاء الإمام الحسين (ع) أيضاً:

سل الربع تُبدِ الحال ما كان خافياً وعن لهجٍ في الذكر هل كان ساليا

بقي أن نقول إن الشيخ الأحسائي علم من أعلام عصره امتاز بسعة علمه وطول باعه وتفوقه حتى ارتفع له صيت عظيم وسار ذكره في جميع الأقطار وقلده كثير من المسلمين في أقطار العالم الإسلامي. والله ولي التوفيق(*).

لجنة التحقيق

في

الدار العالمية

(*) اعتمدنا في هذه الترجمة بشكل أساسي على كتاب «أعلام هجر» للسيد هاشم محمد الشخص - ج ١ ص ١١٢ - ١٩٨.

من كلام لأمير المؤمنين وإمام المتقين:

وأوصيكم بذكر الموت، واقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتم عما ليس يغفلكم، وطعمكم فيمن ليس يمهلكم؟

فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم حملوا إلى قبورهم غير راكبين وأنزلوا فيها غير نازلين، فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمّاراً، وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً.

أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون، واشتغلوا بما فارقوا، وأضاعوا ما إليه انتقلوا،

أَنِسوا بالدنيا فغرتهم، ووثقوا بها فصرعتهم.

فسابقوا ــ رحمكم الله ــ إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها والتي رغبتم فيها، ودعيتم إليها.

واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته فإن غداً من اليوم قريب.

ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهور، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر؟!

«نهج البلاغة»

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي: إنَّ الأجل الأفخر المكرم الملا علي أكبر ابن البصير محمد سميع، وفقه الله لطاعته، قد أرسل إلي كلمات قليلة مشتملة على معان جليلة يريد من الفقير الجواب، وهي هذه:

قال سلمه الله: إن تفضلوا وتكتبوا طريق خلوص النية وحضور القلب والقصد في الطاعات بأي شيء تحصل؟ بذكر أو فعل أو رياضة؟ وترقي النفس في الكمالات القدسية بأي شيء تيسر؟

٥

أقول: إن النية إنما تخلص إذا ظهرت على مشاعر العبد آثار فضل الله سبحانه حتى جذبه الطمع فيما عند الله والرغبة في خيرات وعد الله الصادق وآثار عدله سبحانه حتى صرفه الخوف من مقام الله والرهبة في محذورات وعيده المطابق.

فإذا حصل ذلك للإنسان انصرف عما سوى الله سبحانه وتعالى إليه فهناك تخلص نيته ويحضر قلبه عند الله وتكون أعماله مقبولة فينهمك في الطاعات وتترقى نفسه إلى الكمالات فيتخلق بأخلاق الروحانيين وتتعلق روحه بالمحل الأعلى من القدس.

إلا أن الإنسان لما كان منغمساً في رذائل الطبيعة، محجوب الآنية تعسر عليه ذلك المطلب العالي، واصل ذلك الانغماس أنه لما ظهر إلى الدنيا كانت نفسه مصاحبة لحياته في طفولته وكان همها هماً للطعام والشراب لضعف قواه عن الإدراكات الكاملة.

ثم تدرج في مراتب الجهل من (الشهوة) و (الغضب) و (التكبر) و (الحسد) وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة. واستولت هذه القوى النفسانية على ذلك العبد واستوطنت مساكنها ومنازلها.

وكان العقل الذي يدعو إلى الله سبحانه وتعالى وإلى طاعته إنما يأتي ذلك العبد شيئاً فشيئاً بالتدريج. ولا يتم نزوله في أول

مساكنه إلا عند (البلوغ). فيأتي ذلك المنزل وهو غريب وحيد لا ناصر له ولا معين وقد استولت أعداؤه وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد. فدخلها فكان بينهم غريباً ذليلاً حقيراً خامد الذكر معزول التصرف والأمر.

فتفضل الله عليه (ثانياً) بعد ايجاده وخلقه مهدياً مستقيماً يملك من جبروته يعينه على طاعته ويؤيده على أعدائه. ونصر ذلك الملك بجند من ملائكته يفعلون بأمره ويدفعون أعداءه وهم بأمر ذلك الملك يهدون بالحق وبه يعدلون.

ثم تفضل الله سبحانه عليه بعد ذلك مرة بعد أخرى، فأرسل فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلمه طريق شريعته ثانياً كما علمه طريق شريعته (أولاً)[1]. وبَيَّنَ له مستقيم أعماله وأقواله

---

(١) أي في (عالم الذر) وهو قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم**﴾ (الأعراف ١٧٢). ولتوضيح المطلب قال رحمه الله:

«إن العلم قد عرض على الخلق في (عالم الذر) فلا يقبل أحد شيئاً من العلوم إلا ما قبله هناك. وأما المعلمون في الدنيا فأنهم في الحقيقة منبهون للمتعلم على ما غفل عنه ومذكرون له ما نسيه، ألا ترى أنك إذا أخبرك معلمك بمسائل لا تقبل منها إلا ما أدركته، وإدراكك الآن فرع على إدراكك في (عالم الذر) وهو معنى قول جعفر بن محمد (عليهما السلام): =

وأفعاله وحركاته وسكناته وجميع أحْواله من معوجها، ونصب له الأدلة ولم يترك شيئاً فيه صلاحه إلاّ دَلَّهُ عليه، ولا شيئاً يضره إلا عرّفه إياه. وأحصى في كل شيء من أفراد الطريقين بأمره ونهيه لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

والإشارة إلى مجمل تلك الهدايات أنه أمر بالإقبال على الله والمسير إليه سبحانه، دلك على طريق ذلك من محبته ورضاه فأمرك بشريعته من (الطهارة) و (الصلاة) و (الزكاة) و (الصوم) وسائر التكاليف واجبها ومندوبها على ما هو مقرر عند أهل الشرع.

ونبه على ذلك في مواضع من كتابه منها قوله تعالى: **﴿واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾**. يعني أن غير الخاشعين لا يقدرون على الاستعانة بالصلاة على جميع مطالبهم لأنهم معرضون عن ذكر الله فكانت قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون.

= «ثبتت المعرفة ونسوا الموقف». وفي رواية: وسيذكرونه يوماً ما ولولا ذلك لم يدرِ أحد من خالقه ولا رازقه. فقال (عليه السلام): وسيذكرونه يوماً ما ولم يقل وسيتعلمون فَافْهَمْ...».

فإذا أردت طريق خلوص النية وغيره إلى آخر ما طلبت، فعليك بحسن العمل، فإنه لا شيء كالعمل كما قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فإذا أردت الصلاة فاسبغ الوضوء تَقَرُّباً إلى الله، واقرأ ما ندبك إليه الإمام من أدعية الوضوء وقبله وبعده، وتوجه إلى ذلك بقلبك. وقم إلى الصلاة بقصد الخدمة لله سبحانه، وصل كما أمرك الشارع ـ عليه السلام ـ من الأفعال والأقوال.

وتعوَّدْ إقام الصلاة، ولا تترك شيئاً من (النافلة) ولا شيئاً من المستحبة من صلاة أو دعاء أو قراءة القرآن تعللاً بأن الله سبحانه لا يقبل إلا الخالص وما أقبل العبد إليه بقلبه، فإذا لم تتوجه إلى العمل بقلبك تركته، وهذا من حيل الشيطان على الإنسان ليحرمه جميع الخيرات. فلا تترك شيئاً ما افترضه الله ولا ما ندب إليه لأنك إن لم تقدر على العمل الصالح تقدر على صورته.

وأوصيك أن تجعل همك في الأعمال الصالحة من (صلاة) واجبة ومندوبة. ومن (دعاء) و (صيام) و (زكاة) من واجب ومندوب، وقراءة القرآن لا سيما الآيات التي فيها المواعظ. ولا تنسَ ذكر الموت والآخرة وذكر قوله تعالى: ﴿**واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا**

أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾[1]. فجعل ذكر الدار خالصة لعباده الصالحين المصطفين الأخيار.

ومع هذا كله فتحتاج إلى ساعة من ليلك ونهارك تخلو بنفسك وتنظر في المخلوقات من الأرضين والسماوات والجمادات والنباتات، وتعتبر بما ترى من الآيات الدالة على قدرة خالق البريات فإنه لا بد لمن يريد رضى الله والدار الآخرة، ويريد أن يعرفه الله نفسه ويعرفه أنبياءه وأولياءه ـ عليهم السلام ـ وأن يبصره في دينه الذي ارتضاه ويجعله إنساناً فإن أكثر الناس بهائم كما قال الباقر ـ عليه السلام ـ: «الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين والمؤمن قليل».

فلا بد لمن يطلب هذه المطالب العلية من النظر والتدبر في مخلوقات الله سبحانه كما قال الله سبحانه: **﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾** وقال تعالى: **﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾**.

وقال تعالى: **﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**

---

(١) سورة ص الآية ٤٥ و ٤٦.

وما خلق الله من شيء وإن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾.

وغير ذلك من الآيات.

فإذا عملت بما وصفت لك من العبادات كما ذكره الفقهاء - رضوان الله عليهم - في كتبهم الفقهية وكتب الأدعية، وقرأت القرآن بالتدبر في بعض أوقاتك، وتفكرت في المصنوعات - كما ذكرنا - حصل لك نور يبعثك على العمل، وكلما عملت قويت، وكلما قويت عملت، كما قال الصادق - عليه السلام -: «بالحكمة يستخرج غور العقل وبالعقل يستخرج غور الحكمة».

فإذا واظبت على ذلك فتح الله مسامع قلبك فأدركت الحكمة، وعرفت العبرة، وخلصت نيتك، وحضر قلبك، وصح قصدك في الخيرات، وترقَّتْ نفسك في الكمالات القدسية، قال الله تعالى في القدسي: «من أخلص لله العبودية أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة على لسانه». الحديث. وقال تعالى: «ما زال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن سكت ابتدأته» الحديث.

فبيَّن سبحانه أن سبب محبته للعبد هو تقربه إليه بـ (النوافل).

ومن أحبه الله قذف في قلبه العلم. ومن هذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ليس العلم بكثرة التعلم وإنما العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب فينفسخ فيشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء».

فقيل: يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟

قال: «التجافي عن دار الغرور[1]، والانابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»:

فظهر أن النفس لا تترقى إلى الكمالات القدسية والمراتب العلية إلا بالعلم الحق المطابق الخالص. وذلك العلم لا ينال إلا بمحبة الله، ومحبته لا تُنال إلا بالتقرب إليه بالنوافل. والمراد ب (النوافل) الآداب الشرعية من (صلاة) و (طهارة) و (صيام) و (ورع) و (اجتهاد) و (ذكر) و (فكر).

والمراد بالفكر التفكر في المخلوقات واعتبار الآيات. فقد ورد: «تَفَكُّرُ ساعة خيرٌ من عبادة سنة».

ولقد قال عليٌ عليه السلام: «ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيصعد إليكم، ولكنَّ العلم مجبول في

---

(١) أي التباعد والترك لها.

قلوبكم. تَخَلّقوا بأخلاق الروحانيين يَظْهَرْ لكُم»[١].

ومثل معناه ما روي عن عيسى ابن مريم وقال الله تعالى فيه: **﴿لما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾**. أي من أحسن العمل آتاه الله العلم بدون تعلم لأن السبب في كل خير حسن العمل كما في قوله تعالى: **﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾**[٢] يعني إذا أحسن العمل آتاه الله الحكم والعلم كقوله تعالى: **﴿واتقوا الله ويعلـمّكم الله﴾**.

وأما ما أشرت إليه مما هو مشتهر الآن بين الناس من الطريق إلى معرفة الله فهو الرياضات والأَذْكار المستحدثة وذلك من سُنَّةِ أهل (التصوف). أتاهم الشيطان عن أَيْمانِهِمْ، وأمرهم بالأَذْكار، وَضَرْبِ الطار، وترجيع الغناء، ونغمات المزمار، وقال لهم: إن النفس خُلقَتْ من حالِ الأَفْلاكِ، فإذا رُوِّحَتْ بالألحان الموسيقية غابتْ عن ذلِكَ العالَمِ، وَتَذَكَّرتْ عالَمَها الأَعْلى، وَمَرْكَزَها الأصل، فتطلبه فتعرف ما يراد منها من المعارف لأنها قد فارقت

(١) وقال عليه السلام: «خُلِقَ الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها»...

(٢) قال تعالى: **﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾** سورة الكهف الآية ٧.

٥

الجسم بأفعالها، فإذا فارقته لحقت بالعقل. وهذه حِيَلُ الشيطان سوَّلَ لَهُم وأَملى لهم(١).

ولو كان ذلك الطريق حقاً يوصل إلى الله تعالى وإلى ما يرضيه لما أهمله الشارع، ولا يجوز أن يخل بشيء يحصل به رضاه وما يطلبه من المكلف. على أن هذه الطريق لو حصلت

---

(١) «... ومنهم من يستمع (الملاهي) ويستمع (الألحان المطربة) مدَّعياً أن النفس خلقت من حركات الأفلاك ونفوسها. فإذا سمعت هذه الأصوات أو الملاهي طربت وتذكرت أوطانها وأوطارها وأطوارها، فانصرفت عن هذا العالم فصافحت الملائكة وصعدت إلى الملكوت وأدركت حظها. (وجهلوا) ما حققوا في مثل هذا المقام، إن هذه الملاهي إنما (حرمت) لأن النفس لا تتجاوز عنها بل تنتقل في حركات الملاهي ونغمات الغناء لما بينهما وبين النفس من المناسبة لأن الغناء فضلات نفسانية عجزت النفس عن إبرازها في ألفاظ دالة، فأخرجتها ألحاناً.
وكذلك الملاهي بجميع أصنافها فهي تحكي ألحان الأفلاك على ما قرر في علم الموسيقى. فلا تزال النفس مشتغلة بتلك الأصوات والنغمات تنتقل معها وتسير بها في كل مكان سحيق فهي في الحقيقة أشد من الغفلة، ولهذا سماه الشارع ـ عليه السلام ـ (ملاهي) لأن النفس في غير تلك قد تلتفت إلى أوطانها فتشاهد وقد تغفل. وأما في هذه الحال فهي محجوبة...» اقتبست «من رسالة للمؤلف طبعت ضمن جوامع الكلم المجلد الأول».

لشخص بها معرفةٌ، كانت معرفةً لا يحبها الله لأن الله حق وبيده الخير ولا ينال منه إلا برضاه، فلا يُدْرَكُ ما عنده بما لا يُحب، لأنه لو أحبَّ هذا الطريق لأَمَرَ بِها ودعا إليها، وإلا كان مانعاً من خيره سبحانه وتعالى عَمَّا يشركون. فلا يعرفه أحد لسبيل عدوه الشيطان وإنما يعرف لسبيله وسبيل أوليائه ـ عليهم السلام ـ.

قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا»(١). فقد حصر معرفة الله فيما بيَّنوا وعَلَّموا من العلم والعمل، والعلم يهتف بالعمل فإن اجابة وإلا ارتحل.

وأما ما حَصَّلَهُ أولئك المتصوّفة الجهال فهو غير الحق، وهم بربهم يعدلون، أما ترى أن قُدْوَتَهُمْ وكبيرَهُم مُميتُ الدين ابن

---

(١) «... وكلامه (عليه السلام) هذا له ثلاثة معان... أحدهما إن قوله: لا يعرف الله إلا بسبيل ما نعرفه ونعرّفه ـ بتشديد الراء ـ بمعنى ما نصفه به من الصفات التي تليق بعز جلاله لشيعتنا ولمن يقبل منه، إذ كل ما لم نصفه به فهو باطل لا يجوز اطلاقه عليه.

وثانياً: إن من عرف الله ولم يعرفنا لم يعرف الله وإنما عرف غير الله لأنا أركان توحيده وهياكل معرفته وصفات تعرفه وتعريفه، والشيء لا يعرف إلا بصفات تعرفه أو تعريفه. فكانت تلك الصفات مثل معرفته وهيكل ظهوره بتعرفه وتعريفه... الخ» (جوامع الكلم المجلد الأول).

عربي وما سن لهم ومَوَّهَ عليهم، حتى بلغت به معرفته إلى أن حكم بإيمان (فرعون) لَعَنَهُما الله، من مشتبه قوله تعالى: ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت...﴾[1] ونسي محكم قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن[*] ولا الذين يموتون وهم كفار[**] أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾[2] وكذلك محكم قوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾[3].

أقول: يعني أن مثل ابن عربي وفرعون الذي قال الله في حقه: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم

---

(١) سورة يونس الآية ٩٠.

(٢) سورة النساء الآية ١٨).

(*) وهذه مثل فرعون.

(**) وهذه مثل ابن عربي.

(٣) سورة غافر الآية ٨٤ و ٨٥.

القيامة لا ينصرون * واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾[1].

كل هذه الآيات المحكمة جعلها ابن عربي مميت الدين لا حُكْمَ لها، ووصفها من المشتبه، وله الويل مما يصف.

وكذلك قال: «أنا الله بلا أنا». وجعله سبحانه مادة لخلقه، وجعل خلق المخلوقات وهماً وسراباً لأنه لم يخلق إلا ذاته.

وقرر أن أهل الجحيم مآلهم إلى النعيم وقال: إنَّ عِلْمَ الله مستفادٌ من الخَلْق. وقال: إن الله أحب أن يُعْبَدَ في عجل السامري لأنه يحب أن يعبد في كل صورة.

وهذه وأمثالها هي نتائج (الرياضات) و (الأَذكار) و (نغمات الأوتار). وحيث جعلها وسيلة وترك سُنَّةَ النبي صلّى الله عليه وآله، وطريقة أهل بيته عليهم السلام.

﴿وأَنْ لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً لنفتنهم فيه﴾. ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾. فهؤلاء في الحقيقة ضالون مُضِلّون.

---

(١) سورة القصص الآية ٣٩، ٤٠، ٤١، و ٤٢.

فالعاقل يطلب النجاة حيثُ يمكن وذلك في اتباع الهادين المهديّين. وأما طريق غيرهم فلا نجاة لساكله. وما أحسن ما قال الشاعر وما أصدقه في هذا المقال[1]:

إذا شئت أن تختر لنفسك مذهباً ... يُنَجّيك يوم الحشر من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالكٍ ... وحنبلَ والمرويَّ عن كَعْبِ أَحبار

واعلم أن الشريعة التي أسسوها - عليهم السلام - نورٌ توصل إلى نور، فاطلب النور بالنور، ولا تطلب النور بالظلمات، فإنها لا توصل إلا إلى الظلمات. وهذا الطريق الذين وصفت لك هو أقرب الطرق إلى الله وأصحُّها وأنجحها.

وإن أبيت إلا الرياضة فَأَصَحُّها طريقُ أهل العصمة - عليهم السلام - وهو أنك لا تأكل حتى تجوع، وإذا جعت فكل ولا

---

(١)

إذا شئت أن تختر لنفسك مذهباً ... (يقيك من الخسران والخزي والعار)

وديناً قويماً مستقيماً ومنهجاً ... ينجيك يوم الحشر من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالك ... (فلا ذاك مرضياً ولا ذا بمختار)

(ولا تَأْخُذَنْ قولاً عُزي لابن حنبل) ... ونعمان والمرويَّ عن كَعْبِ أَحبار

ووالِ أناساً نقلُهُمْ وحديثُهُمْ ... (من المجتبى وحيّ على لُشنِهِم جار)

(فما أخبروا عنه وما حدّثوا به) ... روى جدُّنا عن جبرئيل عن الباري

تملأ، بل ترفع يدك وأنت تشتهي الطعام ولك ميل إليه. وإياك والشَّبَعْ، فإنه من مُؤَدِّيات جنودِ الشيطان. وكذلك الشراب، لا تشرب حتى تعطش، فإذا عطشت فأشرب فلا تملأ، فارفع رأسك وأنت تشتهي.

وتدبَّر قول الله عز وجل: **﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾**[1].

وقد ذكرنا سابقاً أن العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب وذكر في الآية الشريفة أنه لا يحب المسرفين في الأكل والشُّرْب.

فإذا أردت استعمال الذِّكْرِ فاذكر لدفع مكاره الدنيا والآخرة «اعتصمت بالله» تقولها ثلاثاً وأربعين مرة.

ولدفع ما يجري في الخواطر من ضرر التطير والتفاؤل والدعوى وعدم الرضا بالقضاء وما أشبه ذلك: «اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك» تقولها ولو مرة واحدة.

---

(١) وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع».

وتقول عند المضائق: «حسبي الله» مائة وستاً وأربعين مرة تنفرج.

وتقول للنوائب والحوادث اثنين وأربعين مرة: «توكلت على الله».

وهذه الأذكار وما أشبهها سريعة الإجابة بشرط الإقبال والتوجه التام عند كل لفظة تذكر مطلوبك من غير تصور له ولا لنفسك وإنما تتوجه إلى معطي الخيرات جلَّ وعلا.

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

كتبها أحمد بن زين الدين حامداً مستغفراً مصلياً.

الرسالة الثانية

في جواب المسائل التالية:

قال السائل:

فإليك أشكو ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعد الله أولياءه، والمجانبة عما حذر الله أعداءه، ووسوسة نفسي، وقلة صبري، وكثرة همومي، وإليك أشكو قلباً قاسياً، مع الوسواس متقلباً، وبالرين والطبع متلبساً.

وتعلّموني ذكراً ووِرداً لتصفية الباطن وتنوير القلب بنور المحبة والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عند الله... وترشدوني إلى طريقٍ تُصلح لي ديني وما فسد مني، وتصلح معاشي ومعادي.

والمدعو من فضلكم أن تبينوا معنى الأَمْرَيْنِ من الجبر والتفويض وما معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؟ وما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله؟

٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وبعد: فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي، إنه قد بعث إليَّ السيد الجليل سيدنا إسماعيل بخطٍ التمس مني الجواب لمسائل كتبها. وقد وردت عليَّ في حال اشتغالي بشرح (الزيارة الجامعة)[1]. وكنت التزمت أني لا أشتغل بشيء. فلما وفقني الله - عز وجل - لإتمامه وذكرت كلامه - أعلى الله مقامه - كتبت ما حضر، وجعلت كلامه مَتْناً ليبين معنى كل مسألة في محلها وبالله سبحانه أستعين.

١ - **قال** سلَّمَه الله:

فإليك أشكو ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعد الله أولياءه والمجانبه عما حذر الله أعداءه.

---

(١) «شرح الزيارة الجامعة» طبع في أربعة أجزاء طبع ثلاث مرات.

أقول:

إن النفس خلقت على ما هي عليه من قابليتها، ومقتضى قابليتها الضعف عن ذلك، وإنما أفاض عليها الوجود لتقوى على طاعته وكانت الإفاضة في مقامين: الأول: تكون في صورتها الظاهرة، والثاني: به تكون في نوريّتها وقوتها على القرب من خالقها. فأما الأول فمعلوم. وأما الثاني، مادة الوجود التشريعي وهو الإرادات الإلهية من المكلف والأوامر الشرعية.

وكما أن الوجود التكويني الأول لا يتحقق إلا بقابلية المكلف وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي كما قرر الشارع عليه السلام: «بالعقل يستخرج غور الحكمة، وبالحكمة يستخرج غور العقل» والمراد أنك تحمل النفس على بعض الأعمال الصالحة، فإذا عملت قَوِيَ العقل، فإذا قوي العقل بعثها على العمل. وهكذا فأنت تُعَوِّدُ نفسك على فعل الخير، فإن فعلت فَحَسَنٌ، وإن خالفت فلا تهتم بما مضى، واجتهد بما يأتي، فربما لو اهتممت بما مضى كان شاغلاً لك عما يأتي، ولا يرجع لك ما مضى. وتستدرك ما مضى (بالندم) و(الاستغفار) ولا يكون الندم شاغلاً لك عما يأتي.

وأكثر من ذكر (الموت) وأحوال (الآخرة) من (الجنة) و (النار).

واعتبر بمن كانوا معك وسافروا قبلَك إلى الآخرة. واْقْتد بما استعدَّ لذلك السفر الطويل بالزاد الجزيل منهم. وحذّر نفسك أن تكون كمن سافر بغير زاد.

واجعل لك وقتاً في اليوم والليلة ولو قدر ساعةٍ أو أَقَلّ تنظر فيه إلى ما خلقه الله من السموات والأرض، وتعتبر بآيات الله. قال تعالى: **﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾**[1].

واجتهد في اخلاص العمل وإن كان قليلاً لأن الله تعالى يقول: **﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾**[2] ولم يقل أكثر عملاً فافهم.

٢ ـ **قال** سلمه الله:

ووسوسة نفسي وقلة صبري وكثرة همومي.

أقول:

اعلم أن الشيطان يأتي المؤمن إذا وقع منه تقصير ويفتح عليه باب الخوف ليشغله عن التلافي والإتيان بما سيأتي وليدخله

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩١.

(٢) سورة الكهف الآية ٧.

في باب القنوط. ومن المؤمنين من يجري على خاطره تَصَوُّرُ حالٍ قبيح في الله تعالى - أو في أنبيائه وأوليائه، والتصور في الحقيقة ليس منك وإنما هو من إلقاء الشيطان. وهذا هو النجوى الذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله**﴾[1] وهذا كما قال تعالى: ﴿**وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله**﴾[2] لأن كيد الشيطان ضعيف.

فإذا عرض لك هذا فلا تخف به ولا تهتم به، فأنه يذهب عنك كما قال الله: ﴿**فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾[3] والشيطان مثل الكلب تمر عليه فينبح عليك فإن تتركه رجع فإن اعتنيت بطرده أشغلك فكلما طردته ذهب وإذا رجعت رجع، وأما إذا تركته تركك فاعتبر بهذا المثال. على أن هذا الذي جرى في تصوُّرك ليس منك بل هو من الشيطان. ولهذا يجري على خاطرك بغير محبتك ورضاك، ولو كان منك لرضيت به. فإذا عرفت أنه ليس منك فلا يضرك

---

(١) سورة المجادلة الآية ١٠.

(٢) سورة النساء الآية ٧٦.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٦.

ولا تخف منه. واعلم أن الخبيث يأتيك به هو ويقول لك قد كفرت أو نافقت أو ارتددت فلا تطعه ولو كان منك لما كرهته وإذا لم يكن منك كيف تكون كافراً بفعل غيرك أو مرتداً.

ومع هذا فأنت تكثر من قول: «يا مُقَلِّبَ القلوب والأبصار صلِّ على محمدٍ وآل محمد، وثبِّتْ قلبي على دينك ودين نبيك ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» ليلاً ونهاراً.

فإذا خطر على خاطرك ما تكره فقل: «اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله واشهد أن علياً ولي الله».

وأما قلة الصبر فانظر في نفسك هل تدرك مطلوبك بالصبر أم بقلة الصبر. فإن قلت بقلة الصبر فَلِمَ تَكْرَهُهُ؟ وإن قلت بالصبر فاصبر حتى تدرك مطلوبك.

وأما كثرة الهموم فأنت جُرَّبْتَها هل حصَّلْتَ بها شيئاً مما أهمك أم لا؟ فإن قلتَ حصَّلْتَ بها، فينبغي أن تفعلها وتلازم عليها. وإن قُلْتَ: ما حَصَّلْتُ منها إلا الأذى، فاتركها ولا تطلب لنفسك الأذى بما لا ينفعك.

ومن الأدعية المجرَّبة إذا أصابك غَمّ فقل ـ ثلاثين مرة ـ «لا

إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فقد جرَّبْتُهُ مراراً وعليه اعتمد وهو مروِيٌّ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

٣ ـ **قال** سلمه الله:

وإليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً.

أقول:

ليس قلبك قاسياً ولا متقلباً مع الوسواس لأن القلب القاسي هو الذي لا يشعر بهذه الأمور بل يطمئن إليها، ولو تقلب مع الوسواس لرأى ذلك حقاً وفرح به، فلما تألم قلبك من ذلك دل على أنه ليس منك ولا منه وإنما هو من نجوى الشيطان، وإذا كان من غيرك لا يضرك بل جزع قلبك من هذا ومثله كما قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «ذلك محض الإيمان» هـ.

ومعناه إنما خاف قلبك من هذه الأمور لأنه مطمئن بالإيمان فإذا ذكره الشيطان ذلك ليحزنه تألم من ذلك لأنه منكر لها وهو معنى كونه «ماحضاً للإيمان».

٤ ـ **قال** سلمه الله:

وبالرين والطبع متلبساً.

أقول: علاجه أن تجلوه وتصقله مما ذكرنا من (الاستغفار)

والإكثار من (ذكر الله) ومن ذكر (الموت) و (الجنة) و (النار) وبإخلاص العمل، وبملاحظة الرجاء في الله تعالى وحسن الظن به.

ثم قال:

وتعلموني ذكراً ووِرداً لتصفية الباطن وتنوير القلب بنور المحبة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله.

أقول:

الذكر قسمان:

أحدهما: هو ما ذكرنا لك من التفكر في خلق الله وصنعه وآثار قدرته وذكر نعمه وجميل إحسانه وحسن الظن به والرجاء فيه والخوف من مقامه، وأن تذكره عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتتركها وأمثال هذا.

وثانيهما: ما تتلفظ به من الذكر وأفضله الصلاة على محمد وآله فإنها تكفر الذنوب من دون توبة، ولعلن أعدائهم فإنها موجبة للشفاعة في الدنيا بإصلاح الأحوال وقضاء الحوائج ودفع الموانع، وفي الآخرة بالسلامة من النار والفوز بالجنة.

والذكر الخاص لكل مطلوب «توكلت على الله» ألف وثلاثة

وعشرون. ولكل مخوف «اعتصمت بالله» ألف وتسعة وستون.

وأما تصفية الباطن ففرغ قلبك لذكر الله سبحانه ولذكر أسمائه[1] ـ عليهم السلام ـ.

فإن اجتمع قلبك على هذا صفى باطنك واستنار قلبك بنور المحبة وذلك مع المداومة على المستحبات الشرعية والتوجه في الواجبات.

وأما الزهد في الدنيا فكما قال الصادق ـ عليه السلام ـ: «ألا تكون بما عندك أوثق بما عند الله» هـ.

وأما الرغبة فيما عند الله فبذكر انقطاع (الدنيا) ولذاتها، وفنائها وذكر دوام الجنة ولذاتها وبقائها، وإكثار التفكر في تقلب الدنيا وغدرها بمن ركن إليها واشباه ذلك.

وذكر (الموت) وما بعد الموت و (الحساب) والوقوف بين يدي الله، وزيارة القبور والاعتبار بها وبالدنيا وبما فعلت بأهلها وهذا وأمثاله مذكور في أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ

(١) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ما معناه: ذكر الله عباده وذكرى عباده ذكر علي وأولاده المعصومين عليهم السلام عباده. وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: نحن الأسماء الحسنى التي أمركم الله أن تدعوه بها.

وفي كتب العلماء الموضوعة في علم اليقين والتقوى.

٥ ـ **قال سلمه الله:**

وترشدوني إلى طريق تصلح لي ديني وما فسد مني وتصلح معاشي ومعادي.

أقول:

عماد هذا وقوامه المصلح للمعاش والمعاد هو (التوكل) على الله و (تفويض الأمر) إلى الله و (الرجاء) في الله و (حسن الظن) بالله.

٦ ـ **قال سلمه الله:**

وما معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؟

أقول:

اعلم أن الله سبحانه كان ولا شيء معه غيره، ثم خلق المشية بنفسها لا من شيء غير نفسها حين خلقها، فأحدث بها (الإمكان) حين أحدثها لأنه محل خلقها في (السرمد). يعني أن المشية خلقها بنفسها في مكانها ووقتها، فمكانها (الإمكان) ووقتها (السرمد) فهذه الثلاثة هي (الوجود الراجح) وهو (الوجود المطلق).

والمشاءات في الإمكان المساوي وهو (الوجود المقيد) وأوله (العقل الكلي) وآخره ما تحت الثرى.

فلما أمكن الممكنات كانت حصصها الجزئية بالنسبة إلى (الإمكان الكلي) حصصاً كلية غير متناهية. مثلاً أحدث في (الإمكان الراجح) الذي هو (العمق الأكبر) المشار إليه في (دعاء السمات) للحجة ـ عليه السلام ـ إمكان زيد على وجه كلي غير متناه. وإنما قلنا إنه جزئي بالنسبة إلى (العمق الأكبر).

ومعنى كون إمكان زيد على وجه كلي أن حصة من (الإمكان الراجح) قبل التكوين يجوز أن تكون زيداً وعمراً أو جبلاً أو جملاً أو طيراً أو أرضاً أو سماء أو ملكاً أو شيطاناً أو معدناً أو نباتاً وهكذا إلى غير نهاية.

فزيد في العلم الحادث (الإمكان الراجح الوجود) يجوز أن تقول إنه هو ليس شيئاً يعني مكوناً قال تعالى: ﴿**أولا يذكر الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً**﴾ يعني لم يكن شيئاً مكوناً ولكنه شيء معلوم ممكن.

ويجوز أن تقول: هو شيء يعني هو ممكن وليس مكوناً، قال تعالى: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ يعني أنه ما مر عليه وقت من الدهر إلا وهو مذكور

ولكن مذكور في (العلم) و (الإمكان) لا أنه مذكور في (التكوين).

فلله ـ سبحانه ـ في كل شيء مشيتان: (مشية إمكان) و (مشية تكوين)، فالإمكان هو الخزانة الكبرى التي لا تتناها والله الكريم سبحانه يمد منه كل مكون بما شاء ولا نهاية لهذا الإمكان إلا في الملك الذي تفرد به تعالى.

فإذا قلت: (ما شاء الله كان) تريد ما شاء الله تكوينه من الممكنات التي شاء إمكانها كان بمشيته التكوينية من مشيته الإمكانية وما لم يشأ تكوينه من الممكنات التي شاء إمكانها بالمشية الإمكانية لم يكن لأن (الممكن) لا يكون مكوناً إلا (بالمشية التكوينية).

مثلاً: الجبل له حصة إمكانية من (الإمكان الراجح) فكون هذا الجبل من تلك الحصة الإمكانية التي قلنا إنها حصة إمكانية جزئية على وجه كلي غير متناه، فإن هذا الجبل يمكن أن يكون ذهباً وإنساناً وملكاً وحيواناً وشيطاناً وبراً وبحراً وغير ذلك مما لا نهاية له ولا غاية أبد الآبدين.

فحاصل المعنى: ما شاء الله تكوينه من الممكنات كان وما لم يشأ تكوينه منها لم يكن، وإذا كونه ليس له فيه البداء ألا يكون لأنه كونه، وكونه لا يكوّنه محال، ولكن له أن يغير تكوينه

إلى أي صورة شاء بلا غاية ولا نهاية كما قال تعالى: ﴿**في أي صورة ما شاء ركبك**﴾.

وأما قول (الصوفية) واتباعهم: «إنه ليس للحق في الشيء إلا وجه واحد لأن علمه كذلك، وعلمه تعالى لا يتغير» وساوس وجهل بمقام الحق تعالى، حتى أنهم يقولون: «لا تتعلق قدرته تعالى بهداية الخلق كلهم لأنهم ما أعطوه العلم من أنفسهم بذلك» وهو غلط فاحش، فإن الله تعالى العالم بذاته وبخلقه يقول: ﴿**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين**﴾. فكيف يقول تعالى لشيء: «كن» ولا يكون؟

أو أنه أتى بهذا الفرض على جهة الفرض والتمثيل كما احتمله بعضهم وكتبه هو زعماً منه أن هذا مما لا يحتمله إلا أهله، حتى أن الملا محسن في (الوافي) في باب الشقاوة والسعادة عنون بيان هذا فقال: «وإن كان الظاهريون لبمعزل عنه».

٧ ـ **قال** سلمه الله:

وما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله؟

أقول:

روي معناه عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا حول لنا عن

المعاصي ولا قوة لنا على الطاعة إلا بالله».

ومعنى هذا الكلام: أن الحول أي التحول عن المعاصي إنما يكون لنا بالله. لأن لنا حقيقتين:

حقيقة من الله وهو (الوجود)(١) وهو يقتضي الطاعات بميل طبعه، ويقتضي التحول عن المعاصي كذلك لكنه محدث محتاج في بقائه إلى (المدد)، وكذا في حصول الميل له وبقائه له.

وهو أي (المدد) إنما يجري على (المحدث) من (فعله) تعالى بإرادته، فإذا لم يرد لم يصل إليه (مدد)، وإذا لم يصل إليه مدد لم يكن له اقتضاء ولا ميل، هذا إذا وصل إلى الذات نفسها ولم يصل إلى نفس الاقتضاء والميل مدد وإلا لم يكن شيئاً أصلاً.

وحقيقة من نفسه وهي (الماهية) وهي تقتضي المعاصي بميل طبعاً، وتقتضي ترك الطاعات كذلك وهي محدثة من (الوجود) المحدث، ومحتاجة في بقائها وفي اقتضائها وميلها كذلك.

---

(١) للمؤلف بحوث في (الوجود) و (الماهية) بشكل تفصيلي في كتابه (شرح الفوائد) فراجع.

وميل (الوجود) من نوعه، ومددها من نوعها وكل بإرادة الله تعالى.

فإذا أراد العبد (الطاعة) باقتضاء حقيقته وميلها وهي (الوجود) لا يقوى عليها إلا بمعونة من الله، وهذا معنى ولا قوة لنا على الطاعات إلا بمعونة من الله تعالى. وإن مال إليها وجودنا وأحبها قلبنا.

وإذا أراد ترك المعصية بعد ميل ماهيتنا ومحبة نفسنا الأمارة بالسوء لها لم نقدر على تركها والتحول عنها إلا بمعونة من الله تعالى.

وهذا معنى «لا حول لنا عن المعاصي إلا بالله». لأنه لو أمد (الماهية) حين مالت إلى المعصية عصى العبد قطعاً ومدده تعالى لها التخلية والخذلان فلا يطيع العبد إلا بالله. فإذا مال إلى الطاعة وائتمر بها أمده بالمعونة ولا يمنعه ما يحب منه أن يفعل.

ولا يعصي العبد إلا بالله لأنه إذا مال إلى المعصية وائتمر بها فإن شاء أن يحول بينه وبينها فعل بأن يمد مقتضى الترك لها وهو الوجود، وإن لم يشأ ذلك خلاه، وكان تخليته مدداً لمقتضى فعلها وهو الماهية.

ولا يجب في الحكمة عليه تعالى أكثر من هداية (النجدين)

و «المعونة» إذا شاء وله الحمدُ على كل حال والحمد لله رب العالمين[1].

(١) جوامع الكلم المجلد الثاني طبعة تبريز «١٢٧٦ هـ» صفحة «٢٨٢ - ٢٨٥».

بيان معنى قول الإمام عليه السلام:
«بنا عرف الله...»

فقوله (عليه السلام): «بنا عرف الله» له معان:

أحدهما: بما وصفنا الله تعالى بصفاته وذكرنا مما يجوز عليه ويمتنع عليه، وكل وصف وصف به من غيرنا فإنه لا يجوز عليه ولا يجوز عليه إلا ما وصفناه به، لأنا لا نقول عليه إلا ما وصف به نفسه.

ثانياً: إنا شرط التوحيد، فمن لم يعرفنا لم يعرف الله لأن الله تعالى جعلنا أركان توحيده، والمراد بالشرط هنا الشرط الركني وذلك لأنهم معانيه فهم عينه ولسانه ويده وأمره وحكمه وعلمه، ومعنى كونهم معانيه أنهم معاني أفعاله...

وثالثها: إنا شرط التوحيد يعني أن التوحيد لا يتحقق إلا بالإقرار بولايتهم الحق، وفيه تعريض بغيرهم.

والمراد أن من عرف إلهاً اتخذ لخلقه دعاة مهتدين هادين فقد عرف ربه بالغنى المطلق الذي هو عبارة عن التوحيد الكامل بخلاف من عرف إلهاً اتخذ لخلقه دعاة ضالين مضلين فإنه ما عرف ربه لأن الإله اتخذ لخلقه دعاة ضالين مضلين فأنه ما عرف ربه لأن الإله الذي اتخذ دعاة ضالين مضلين إنما دعاه إلى ذلك الحاجة أو عدم القدرة على تحصيل هادين مهتدين أو عدم علمه بهم، والمحتاج وفاقد القدرة ليس بالله حق فبهم يعرف الله.

ورابعها: إنا آيات الله التي تدل عليه، والمراد أنهم هم الآيات التي قال: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾ فهي التي يعرفون الله بها، وهو قول الصادق عليه السلام في حديث عبد الله بن بكر الأرجائي عن (كامل الزيارة) وهو طويل وفيه قال عليه السلام: «والحجة بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقوم مقام النبي وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمة والأخذ لحقوق الناس والقائم بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض. فإن لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾ الآية فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق؟ وقال تعالى: ﴿**ما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها**﴾ فأي آية أكبر هنا؟» الحديث.

والآية هي الدليل عليه ولهذا قال عليهم السلام: «نحن صفات الله العليا» ولا شك أن الشيء إنما يعرف بصفته وهي كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له».

وخامسها: لما ظهرت عليهم آثار الربوبية حتى إنهم يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص ويفعلون كلما أرادوا بإذن الله سبحانه لأنه تعالى أخذ على جميع ما خلق الطاعة لهم، ومع هذا ظهروا بكمال العبودية وبشدة العبادة وكمال الخوف من مقام الله تعالى. فعرف الخلائق ربهم بذلك، كما ورد في حق الملائكة أنهم لما رأوا أنوارهم تحيروا فسبحوا فسبحت الملائكة، فهللوا فهللت الملائكة، وكبروا فكبرت الملائكة. وذلك لأن الملائكة لما رأوا أنوارهم ظنوا أن هذا نور معبودهم، فلما سبحوا عرفت الملائكة أن هذا نور مخلوق فقالوا عليهم السلام: «بنا عرف الله».

وفيه أيضاً وجوه وهذا أظهرها..[1].

---

(١) جوامع الكلم المجلد الثاني صفحة ٣٠٣.

فـي بـيان استـجابة الدعاء..

أقول: إن الله سبحانه قال: ﴿**ادعونـي أستـجب لكم**﴾[1]. وهذا مجمل وبينه في قوله: ﴿**وإذا سألك عبـادي عنـي فإنـي قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانـي فليستـجيبوا لـي ولـيؤمنوا بـي لعلهم يرشدون**﴾[2].

ومن معنى بيانه أنه قال: ﴿**فلـيستـجيبوا لـي**﴾ يعني أني دعوتهم إلى أن يدعوني فليدعوني وليؤمنوا بي أي يصدقون بأني أقرب إليهم من حبل وأني أجيب الداع، فإذا دعا الداعي وهو شاك في أنه يجيب الدعاء لا يستجيب له، وإن دعا وهو لا يعرف من دعاه لا يستجيب له كما قال جعفر بن محمد (عليهما

(١) سورة غافر الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦.

السلام) لما قيل له: ما بالنا ندعوا ولا يستجاب لنا؟ (عليه السلام): «لأنكم تدعون من لا تعرفونه».

فإذا أردت استجابة الدعاء فادعه وحده لأنك إذا لم تعرفه فإنما تدعو غيره. وطريق معرفته موجب للاستجابة أن تعزم عليه تعالى بما دعاك فتوجه إليه غير ناظر إلى حاجتك ولا إلى نفسك على نحو ما إذا قلت لزيد يا قاعد فإنك غير لاحظ للقعود وإنما أنت متوجه إلى زيد. فكذلك إذا قلت: «اللهم اغفر لي» فلا تلتفت إلى كونك ولا إلى كونك سائلاً ولا إلى المغفرة. وتتوجه إليه تعالى لا إلى جهة بلا كيف فإنك إذا فعلت كذلك استجاب لك في مكانك. ولقد جربت ذلك خمس أو ست مرات فلا ينقطع كلامي إلا بالإجابة.

وطريق آخر: أن تتقي الله بأن تطيعه في كل ما يريد منك فإذا كنت كذلك فهو أكرم منك وأولى بالفضل فإذا دعوته استجاب لك في كل ما تريد وهو تعالى نبهك على ذلك بقوله: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾[1].

سؤال: هل بمجرد سماع (الغيبة) يحكم بفسق المغتاب أم

(١) جوامع الكلم المجلد الثاني صفحة ٣٠٣.

لا؟ وهل يجب الرد على السمّاع أم لا؟ وهل السماع بقصد الرد من أحد وجوه الجواز أم لا؟

أقول:

من سمع (الغيبة) ولم يعلم أن من اغتيب متظاهر بالفسق ولم يكن ذلك في جرح شاهد ولا نصح مستشير ولا من باب ذكر فضل بعض العلماء على بعض وأمثال ذلك، بل إنما كان ذلك مجرد إظهار عيب مؤمن، فإن ظهر له من المغتاب إمارات الندم والتوبة وإلا جاز الحكم بفسقه أن عين مؤمناً باسمه أو بإشارة مفهمة تعيينيه للسامعين أو بعضهم.

ثم إن كان ذكر الغيبة بكلام لو بين وجه العذر فيه للمؤمن قبل ذلك المغتاب عذره ولم يغتبه جاز استماعه حتى يستوفي كلامه ثم يرده، بل وإن لم يقبل المغتاب ولكن من السامعين من يقبل وإلا ترد كلامه قبل إتمامه إن تمكنت من ذلك وإلا فقم عن المجلس إن تمكنت وإلا فسد أذنيك. ولو تعذر عليك وجه التخلص فالله أرحم الراحمين وخير الغافرين.

الفهرس

ترجمة المؤلف ٥
من كلام لأمير المؤمنين (ع) ٢٠
الرسالة الأولى ٢١
الرسالة الثانية ٣٧
بيان معنى قول الإمام (ع) «بنا عرض الله» ٥٣
في بيان استجابة الدعاء ٥٦
الفهرس ٥٩

الدار العالمية

بيروت ـ الحمراء بناية كومودور سنتر
هاتف : ٣٤٩٧١٧ ـ ٣٤٠٣٢٩ ـ ٨٦٣٠٣٣
فكس : ٨٦٣٠٣٣ – ص . ب . : ٦٢٨١ / ١١٣
تلكس : ٢٢٩٢٧ LE 22927 عالمية LE 42054 فرحات
بـيروت ـ لبنـان